

سُورَةُ الْطَّوْرِ



النَّزْولُ: مَكْيَةٌ.

الْمَقَاصِدُ:

- ١ - تقرير البعث والحساب.
- ٢ - الرُّدُّ على شبهات المشركين حول التوحيد والرسالة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْطُّورِ ﴾١ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍ مَّشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ
 ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا
 ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيِّرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ
 يُدَعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاهُ ﴿١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِرَ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ
 لَا يُبْصِرُونَكُمْ ﴿١٥﴾ أَصْلُوهَا فَاصْبِرُوا وَلَا تَضَبِّرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا يَخْرُجُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

التفسير:

١٠ - ١ - يُقسِّمُ الله تعالى بستة أشياء عظيمة: بجبل الطُّور في صحراء سيناء، وبالقرآن المكتوب على جلد رقيق، وبالبيت المعمور بالملائكة التي تطوف حوله في السماء السابعة، وبالسقف المرفوع وهو السماء الدنيا، وبالبحر المسجور الحافل بالمياه. إنَّ عذاب ربِّك - أيُّها الرسول - بالكُفَّار لَوَاقِع، ليس له دافع يدفعه عنهم. في ذلك اليوم الرهيب تتحرَّك السماء باضطراب، وتُنسَفُ الجبال نُسْفاً.

عن علي رضي الله عنه قال: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ بيت في السماء بخيال البيت يقال له: «الضراح» حُرْمَتُه في السماء كحرمة هذا في الأرض يدخله كل يوم سبعون ألف مَلَك، ثم لا يعودون فيه. (إتحاف الخيرة: كتاب التفسير، سورة الطور، برقم ٢٩٥. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (المستدرك ٤٦٨/٢). وأخرجه الفاكهي في تاريخ مكة بنحوه من حديث عبد الله بن عمرو موقوفاً وصحح إسناده الحافظ ابن حجر (الفتح ٣٠٩/٦).

١٤ - ١١ - يَتَوَعَّدُ اللهُ الْكُفَّارَ، وَيُهَدِّهُمْ بِالْوَيْلِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِلْمُكَذِّبِينَ

بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، الَّذِينَ هُمْ مُنْغَمِسُونَ فِي الْلَّهُو وَالْبَاطِلِ، يَوْمًا يُسَاقُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ سَوْقًا بِالدَّفْعِ وَالضَّرْبِ وَالسَّحْبِ، وَيُقَالُ لَهُمْ: هَذِهِ نَارُ جَهَنَّمَ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَسْخَرُونَ، وَلَا تُصَدِّقُونَ بِهَا.

١٥ - ١٦ - وَيُوَبَّخُونَ فِيهَا: أَفْسِحْرُ مَا تُشَاهِدُونَهُ، أَمْ أَنْتُمْ عُمَّيْ
لَا تُبْصِرُونَ؟ ذُوقُوا حَرَارةَ هَذِهِ النَّارِ الشَّدِيدَةِ، فَاصْبِرُوا عَلَى آلَمِهَا، أَوْ
لَا تَصْبِرُوا عَلَيْهَا، فَلَنْ تُخْرِجُوا مِنْهَا، فَالصَّابَرُ وَالْجَزْعُ سَوَاءُ، إِنَّمَا تَنَالُونَ جَزَاءَ
أَعْمَالِكُمُ السَّيِّئَةِ فِي الدِّينِ.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - القسم بجبل الطور دلالة لفضله على الجبال.
- ٢ - الله أن يُقسِّمَ بما شاء من مخلوقاته. أما العبد فلا يجوز أن يُقسِّمَ
بغير الله.
- ٣ - تقرير البعث والجزاء.

٤ - ثبت علمياً أن كل محيطات الأرض بما في ذلك المحيطان المتجمدان الشمالي والجنوبي، وأعداداً من بحارها مثل البحر الأحمر، قيعانها مسجراً بالصهارة الصخرية المُنْدفعة بـملايين الأطنان من داخل الأرض عبر شبكة الصدوع العملاقة التي تُمَرِّقُ الغلاف الصخري للأرض بالكامل، وتصل إلى نطاق الضعف الأرضي، وتتركز هذه الشبكة من الصدوع العملاقة أساساً في قيعان البحار والمحيطات. (آيات الإعجاز العلمي، الأرض في القرآن الكريم للدكتور زغلول النجار الصفحتان ١٨٣ - ١٩٩).

- ٥ - بيان بعض أحوال يوم القيمة للموعظة والترهيب.
- ٦ - تقرير قاعدة: الجزاء من جنس العمل.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّتِ وَنَعِيمٍ ﴾١٧﴾ فَدِكِهِنَ بِمَا أَنْهَمْ رَبُّهُمْ وَوَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ
 ﴿كُلُوا وَاشْرِبُوا هَنِئُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾١٨﴾ مُتَّكِهِنَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَرَوْجَنَهُمْ بَحُورٍ
 عَيْنٍ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعُهُمْ ذَرِيَّهُمْ يَأْمِنُ لَهُنَا بِهِمْ ذَرِيَّهُمْ وَمَا أَنْتُمْ مِنْ عَمَالِهِمْ مِنْ شَيْءٍ
 كُلُّ أَمْرٍ يِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴾٢٠﴾ وَأَمْدَدَنَهُمْ بِفَكِهَةٍ وَلَحْمٍ مَمَا يَشْهُونَ ﴾٢١﴾ يَشْرُونَ فِيهَا كَأساً لَا
 لَغُوٌ فِيهَا وَلَا تَأْيِمٌ ﴾٢٢﴾ وَيَطْوُفُ عَلَيْهِمْ غَلْمَانٌ لَهُمْ كَانُوهُمْ لَوْلُؤُ مَكْنُونٌ ﴾٢٣﴾ وَأَقْلَى بَعْضُهُمْ عَلَى
 بَعْضٍ يَسْأَلُونَ ﴾٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا فَلِقَاءَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾٢٥﴾ فَمَنْ كَانَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَنَا عَذَابَ
 السُّمُومِ ﴾٢٦﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَذَّعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُ الرَّحِيمُ ﴾٢٧﴾

التفسير:

١٧ - ٢٠ - يُبَشِّرُ الله تعالى المُتَّقِينَ الذين يخالفون الله، ويُطِيعونه بما أعدَّ

لهم من المقام الكريم في جنَّات النعيم، مُتَّعِّمين بما أعطاهم ربُّهم من الخير العظيم، ونجاهم من عذاب نار الجحيم، ويقال لهم: كُلُوا واشربوا ما تشتهون من الأكل الطيب والشراب السائع؛ جزاء ما كنتم تعملون بطاعة الله الكريم. مُتَّكِهِنَ على سرر مُتقابلة، وزوجناهم بنساء جميلات حسان واسعات العيون.

٢١ - ٢٨ - والذين آمنوا بالله واتَّبعُهم ذَرِيَّهُمْ في الإيمان، لَهُنَا بِهِمْ ذَرِيَّهُمْ في درجتهم في الجنة، وما نقصناهم شيئاً من ثواب عملهم. وكلُّ عبد مرهون بعمله، لا يُؤاخذ بذنب غيره، وأمدناهم بأنواع الفاكهة واللحوم التي يشهونها، يتجادلُون في الجنة كأس خمر لا تُؤَدِّي بشاربها إلى هذر القول، ولا يتحققُ لهم منها إثم، ويطوف عليهم ولدان لخدمتهم كأنَّهم اللؤلؤ المصنون في أصدافه في جمالهم. وأقبل أهل الجنة يتسامرون: يسأل بعضهم بعضاً عن أحوالهم في الدنيا، قالوا: إِنَّا كُنَّا بَيْنَ أَهْلِنَا خَائِفِينَ مِنْ رَبِّنَا، فَأَكْرَمَنَا اللَّهُ بِالْهُدَى وَالْمَغْفِرَةِ، وَحَمَانَا مِنْ عَذَابِ نَارِ جَهَنَّمَ وَحَرَّهَا الْمُحْرَقُ الْمُؤْثِرُ فِي الْجَسْمِ. إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَعْبُدُهُ وَحْدَهُ، وَنَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ. إِنَّهُ هُوَ اللطيف بعباده، الرحيم بهم.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - العناية بأسلوب الترغيب والترهيب بذكر حال المؤمنين بعد حال الكافرين.
- ٢ - بيان جزاء المتقين وما أعد لهم من النعيم في الجنة.
- ٣ - بيان فضل الله على أهل الإيمان والتقوى.
- ٤ - مشروعيّة الدعاء بكلمة (هنيئاً) لِمَنْ أَكَلَ أو شرب؛ أسوة بأهل الجنة.
- ٥ - البشارة من الله لعباده المؤمنين باليحاق ذرياتهم الذين اتبعوهم في الجنة.
- ٦ - بيان أن خمر الآخرة مختلف عن خمر الدنيا، وإن تشابهت الأسماء.
- ٧ - الإيمان والأعمال الصالحة سبب في دخول الجنة وليس ثمنا لها؛ لأن الجنة أغلى من عمل الإنسان، وإنما العمل الصالح يُزكي النفس، فيؤهل صاحبه لدخول الجنة.
- ٨ - تقرير قاعدة أن المرء يوم القيمة يكون رهين كسبه، لا يحرره إلا الله تعالى، فمن استطاع أن يحرر نفسه فليفعل، وذلك بالإيمان والإسلام والإحسان.

﴿فَذَكَرَ فَمَا أَنْتَ بِنَعْمَتِ رَبِّكَ يَكَاهِنْ وَلَا مَجْنُونٌ ﴾٢٩﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَرَبَصُ بِهِ رَبَّ الْمَنْوَنِ ﴾٣٠﴿ قُلْ تَرَبَصُوا فِي مَعْكُمْ مِنْ الْمُرَبِّصِينَ ﴾٣١﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحَلَّمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ فَوْمٌ طَاغُونَ ﴾٣٢﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾٣٣﴿ فَلَيَأْتُوْنَا بِحَدِيثٍ مُثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَدَقِينَ ﴾٣٤﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَلَقُونَ ﴾٣٥﴿ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوْقِنُونَ ﴾٣٦﴿ أَمْ عَنْهُمْ خَرَآءِنْ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُضَيِّطُونَ ﴾٣٧﴿ أَمْ لَهُمْ سُلْطَنٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلَيَأْتُ مُسْتَعِعُهُمْ سُلْطَانٌ مُّسْتَعِنٌ ﴾٣٨﴿ أَمْ لَهُ الْبَنْتُ وَلَكُمُ الْبَنْوَنَ ﴾٣٩﴿ أَمْ نَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرِمٍ مُّنْفَلُونَ ﴾٤٠﴿ أَمْ عَنْهُمْ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْنُونَ ﴾٤١﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴾٤٢﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾٤٣﴾

التفسير:

٢٩ - فواظِبُ - أيُّها الرسول - على تذكير العباد بالقرآن، فما أنت بفضل الله عليك بالرسالة والأمانة بكافهٍ يترجم بالغيب كذباً، ولا بمحنون، كما يقتري المشركون.

٣٠ - يُنكر الله تعالى على المشركين خمس عشرة مرّة في الآيات التالية الأربع عشرة: أم يقول المشركون هو شاعر نتظر به نزول الموت؟ قل لهم أيُّها الرسول: انتظروا موتي، فإني منظر هلاكم.

٣٢ - أم تأمرهم عقولهم بهذا الكذب؟ أم هم قوم معتدلون مُتكبّرون؟ أم يقولون: إنَّ محمداً اختلق القرآن؟ ليس الأمر كما يزعمون، بل لا يُصدّقون بالقرآن، فليأتُوا بكلامٍ مثل القرآن، إن كانوا صادقين في زعمهم.

٣٥ - أم حُلقو من غير ربٍ ولا خالق؟ أم هم الذين خلقو أنفسهم؟ أم أبدعوا خلق السموات السبع والأرضين السبع؟ لا بل هم لا يُصدّقون قطعاً.

٣٧ - أم يملكون خزائن رزق ربِّك للعباد؟ أم هم الأرباب المتصرّفون في المخلوقات؟

٣٨ - أم لهم مصعد إلى السماء يستمعون فيه كلام الملائكة والوحي، فيعلمون أنَّهم على حقٍّ؟ فليأتِ مَنْ يزعم ذلك بحُجَّة واضحة على صدق دعواه.

٣٩ - أم الله البناء ولهم البنون كما تزعمون؟

٤٠ - أم تطلب أيُّها الرسول - منهم أجرًا على تبليغ الرسالة، فهم بسبب ذلك الغُرم الملزِم لهم مجْهَدون؟

٤١ - أم عندهم علم الغيب، فهم قد اطَّلَعوا على ما لم يَطَّلِعْ عليه الرسول ﷺ فكَذَّبُوه، فهم يكتبون ذلك، ويُبلغونه للناس؟

٤٢ - أم يبتغون مكرًا بالنبي ﷺ والمؤمنين؟ فالكافر هم الذين يقع عليهم عاقبة مَكْرِهم.

٤٣ - أم لهم إله يعبدونه من دون الله؟ تنزيهاً لله، وتعظيمًا له عمَّا يُشركون به.

الفوائد والاستنباطات:

١ - وجوب التذكير والوعظ والإرشاد على أهل العلم بالكتاب والسنّة.

- ٢ - تحريم الكهانة؛ لأنّها من أعمال الشياطين.
- ٣ - إبطال الله تعالى لمزاعم المشركين، ودَحْضُ حُجَّجهم، والرُّدُّ عليهما.
- ٤ - ذمُّ الطغيان فإنّه منبع كلّ شرّ، ومصدر كل فتنة وضلال.
- ٥ - حرمة الكذب مطلقاً، وعلى الله ورسوله بخاصة؛ لما ينشأ عنه من فساد الدين والدنيا.
- ٦ - التنقل بكلمة «أم» في خمس عشرة آية من المعجزات القرآنية. (روح المعاني: ٢٧ - ٢٨). (٣٩ / ٢٨).

﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴾٤٤﴿فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلْقَوْا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾٤٥﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كِيدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُصْرَوْنَ ﴾٤٦﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلِكُنَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْمَلُونَ ﴾٤٧﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَيِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ نَقُومُ ﴾٤٨﴾وَمِنَ الْأَيَّلِ فَسِيحَهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ ﴾٤٩﴾

التفسير:

٤٤ - يُبيّن الله تعالى عناد المشركين وإصرارهم على الكفر: إنّهم إذا رأوا قطعاً من السماء لعقابهم قالوا: هو سحاب متراكم بعده فرق بعض. فاتركهم - أيها الرسول - في ضلالهم حتى يلاقوا يوم القيمة الذي فيه يصعقون من أهواه. في ذلك اليوم لا ينفعهم مكرّهم شيئاً من عذاب الله، ولا أحد يمكن لهم العذاب، وإنّ لهؤلاء الذين ظلموا أنفسهم وغيرهم عذاباً يذوقونه في الدنيا قبل عذاب يوم القيمة، وذلك بمصابئ تلحقهم في الدنيا، ثم عذاب القبر، ولكنّ أكثرهم لا يعلمون ذلك العذاب.

٤٨ - واصبِرْ - أيها الرسول - على قضاء ربّك، فإنّك بمرأى منّا وحفظنا لك، وواظرْ على التسبّح والتحميد لربّك حين تقوم إلى الصلاة، وحين تقوم من نومك، ومن الليل فسبّح بحمد ربّك، وفي صلاة الصبح حين تغيب النجوم عن الرؤية.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - بيان عناد كفار قريش ومكابرتهم في الحق.
- ٢ - تسلية الرسول ﷺ، وهي للدعاة بعده أيضاً.
- ٣ - تقرير سوء عاقبة الظلم في الدنيا قبل الآخرة.
- ٤ - وجوب الصبر على قضاء ربّ، وعدم الجزع.
- ٥ - مشروعية التسبيح عند القيام من النوم بنحو: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يُحيي ويميت، وهو على كل شيء قادر، والحمد لله الذي أحياني عندما أماتني، وإليه النشور.